

خارطة طريق الوصول إلى علوم إنسانية إسلامية - قراءة في فكر الإمام الخامنّي عليه السلام

السيد مهدي الموسوي^(١)

تمهيد:

أثبت نظام الجمهورية الإسلامية في إيران نجاحه وتفوّقه على الفتن العالمية التي عملت عليها قوى الإستكبار العالمي والأيدي الشرقية والغربية، عقب انقضاء عقد الأزمة وانتهاء الحرب.

وبعدها، انطلقت حركة الإعمار في البلد. ولا شك أنّ مسيرة الإعمار والتطوّر على الصعيد الداخلي، والقيام بدور على صعيد عالمي، يستلزمان جهوداً حثيثة ومساعي مضيئة، تركز على فكر عميق يتناغم مع هذه الأمور، إذ أنّ العلم والفكر يمهدان الطريق، ويكشفان عن سبل التطوّر والإعمار، ويضمنان خضوع المجتمعات أمام دولة وشعب ما.

وقد تزامنت هذه المرحلة مع القيادة الرشيدة لآية الله العظمى الإمام الخامنّي عليه السلام، الذي قاد الثورة وواكبها وفق منهج قويم يعكس استمرارية حركة الإمام الخميني قدس سره، ويراعي مقتضيات الزمان والمكان.

وفي أوّل بيان للإمام الخامنّي عليه السلام بمناسبة الذكرى السنوية للإمام الخميني الراحل قدس سره، بيّن خطّ الثورة ونهجها، ومدى ارتباطهما بالعلم

(١) باحث من الحوزة العلمية في إيران.

والمعرفة: «إن نشر العلم والبحث، والتطور العلمي، وتفتح زهور الاستعدادات البشرية، ونشر الوعي والمعرفة العامين، هو -أيضاً- من القضايا الأساسية بالنسبة للثورة... إن المجتمع الذي يريده الإسلام هو المجتمع الذي تُستخرج فيه كنوز فكر البشر ومحصلات أذهانهم، وتستخدم في خدمة الناس، وهذه أئمن ثروة وطنية ممكنة لأي مجتمع كان... يجب أن تقتلع الأمية من جذورها... نريد للمدارس أن تضم إليها كل الأطفال والبراعم... نريد أن تزدهر الجامعات والحوزات، وأن تنشط مراكز الأبحاث وتتطور... وأن يصبح الكتاب سلعة رائجة بين الجميع... وأن تصبح المطبوعات غنية ورافدة للوعي... إن المسافة اليوم بيننا وبين ما يريده الإسلام ويرضى به هي مسافة كبيرة، ولكن باستطاعتنا عبورها... يجب أن تثبت الجمهورية الإسلامية اليوم أن فيها ربوع تربية النبوغ والاستعدادات العلمية الفريدة، وأن قرنين من سلطة الاستبداد والاستعمار لم تستطعيا أن يقضيا على جوهر هذا الشعب. فإذا كان تسلط الاستعمار والاستبداد في القرنين الماضيين قد حال دون بروز الاستعدادات، فيجب اليوم أن يعوّض عن هذا التخلف، ونحن نعيش في مرحلة الحرية ويقظة الشعب؛ وهذا كله ببركة الثورة الإسلامية»^(١).

ومن هنا، أبدى الإمام الخامنئي عليه السلام اهتماماً بالغاً جداً بالتقدم العلمي، ونشر الثقافة العلمية، ورفع مستوى الدور العلمي الوطني في مختلف المجالات، إعلاءً لشأن البلد، وتمهيداً لبناء حضارة إسلامية.

ونظراً لاتساع دائرة موضوع العلم والمعرفة، وتشعب إرشادات الإمام الخامنئي عليه السلام في مختلف ميادين العلم، سوف نقتصر في هذه

(١) البيان الصادر عن الإمام الخامنئي عليه السلام بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام الخميني قدس سره، بتاريخ: ٣.

المقالة على معرفة دور الإمام الخامنئي عليه السلام في مجال «تأصيل العلوم الإنسانية»، و«الوصول إلى علوم إنسانية إسلامية»، على أن نُعرض عن ذكر آرائه في باقي العلوم والمعارف.

وعليه، تتناول هذه المقالة بعض آراء الإمام الخامنئي عليه السلام الفكرية والنظرية المرتبطة بمكانة العلوم الإنسانية وكشف عيوبها، ثم بعدها تكشف عن جهوده عليه السلام الباعثة على استنفار الهمم، وسعيه لبناء المؤسسات في المجال العلمي والاجتماعي، وفي الختام تشير إلى السياسات العامة التي رسمها عليه السلام للمراكز العلمية والثقافية في إيران.

أولاً: العلم أساس القوة:

يرى الإمام الخامنئي عليه السلام أنّ القوة في عالم اليوم تُبنى على أركان ثلاثة:

١. الإمكانيات والثروات النقدية والمالية.
٢. الإمكانيات الإخبارية والإعلامية.
٣. الإمكانيات العلمية والتقنية^(١).

لذا، يمكننا أن نتصور ثلاثة أنواع من السلطة: الاقتصادية، والثقافية، والعلمية^(٢)، وعلى النظام الذي يريد أن يكون صاحب رأي ودور في عالم تحكمه القوة، أن يحصل على هذه الأدوات أو السلطات الثلاث. ولا شك أنّ العلم والمعرفة يلعبان دورين هامّين في صناعة القوة والسلطة، والإمام الخامنئي عليه السلام نفسه مؤمن بأنّه لا يمكن التأثير في هذه الدنيا من دون علم^(٣).

فإذا كان المجتمع يفكر بالقيام بدور عالمي، دفاعاً عن حقوقه،

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع مديري أقسام الإعلام المرئي والمسموع ومسؤوليه، بتاريخ: ١٣٦٩/١٢/٢ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع الهيئة العلمية للجهاد الجامعي، بتاريخ: ١٣٨٤ هـ.ش.

(٣) روشنای علم [نور العلم] (قراءة في كلمات آية الله العظمى السيد علي الخامنئي عليه السلام، قائد الثورة الإسلامية حول المعرفة وإنتاج العلم)، طهران، دار انتشارات انقلاب اسلامي، ١٣٩٠ هـ.ش، ص. ١١٢.

وأداءً لدور تأثيري في المعادلات العالمية، فعليه أن يتسلح بالعلم. ويرى الإمام الخامنئي عليه السلام أن سرّ تطوّر الغربيين وتسلّطهم على العالم يكمن في اهتمامهم البالغ بالعلم والمعرفة، وأنّ سرّ مقدرتهم على الاستمرار بنهجهم رغم المفاصد الكثيرة يكمن في امتلاكهم العلم^(١).

«إنّ للعلم اليوم دوراً كبيراً جداً على الصعيد العالمي... وإنّ الممسكين بالسلطة في الحكومات والأنظمة السياسية في العالم وفي الدول الكبرى اليوم هم أشخاص عاديون، وهم أدنى مرتبة من المميّزين المتوسّطين، وهذا ما تدلّ عليه أفعالهم وأعمالهم، فهؤلاء أدنى من الناحية الفكرية والإنسانية والأخلاقية... دققوا النظر، هذه هي أمريكا، وهذا هو الغرب، ولكن على الرغم من هذا ترى هؤلاء يحكمون العالم. لماذا؟ بسبب العلم»^(٢).

ثانياً: العلم حقّ لجميع البشر:

يرى الإمام الخامنئي عليه السلام أنّ العلم مقولة عابرة للمناطق، و متاح لجميع البشر، لأنّه تطوّر ونما في المجتمعات المختلفة، ولا يمكن أن نصدّر سند ملكيته لشعب معيّن حصراً. «فليس العلم خاصاً بشخص ما أو شعب ما... العلم ملك البشرية، ويدور بين الشعوب من يد إلى يد... وأوروبا المتحضّرة هذه، كانت في يوم من الأيام أسفل حضيض الجهل والضياع، وكان المسلمون كبار علماء تلك الأيام، وهم الذين علّموا الأوروبيين... هذا ما قالوه هم، وما زالوا يقولونه، كتبوه وما زالوا يكتبونه... هذا ليس شيئاً مجهولاً نحن ندّعيه... كان العلم في يوم من الأيام في آسيا، وهو اليوم في أوروبا، وسيكون يوماً في مكان آخر... إنّ العلم ملك البشرية جمعاء... وليس العلم بالشيء الذي يمكن أن يقول

(١) روشنای علم [نور العلم]، م.س، ص ١١٤.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع وزير الثقافة والتعليم العالي ومسؤولي الوزارة ورؤساء الجامعات، بتاريخ: ٢٢/٥/١٣٦٩ هـ.ش.

شعبٌ إنّه له وحده وليس للبشرية، لا، فالعلم ملك البشرية، ونحن سنأخذ العلم أينما وجدناه»^(١).

وقد ذمّ الإمام الخامنئي عليه السلام مقولة استثنائ الغرب بعلم البشر، وحدد أسلوب مواجهة هذه الدعوة الجائرة: «لقد سعى هؤلاء إلى الاستئثار بالعلم... وأرادوا من ذلك إبقاء أداة التطور والسيادة لأنفسهم، وقاموا باستغلالها إلى أقصى حد ممكن لتحقيق السيادة السياسية والاقتصادية... في حين أننا لم نر شيئاً كهذا حدث طوال التاريخ الذي انتقل فيه العلم من يد إلى يد»^(٢).

ويستتج من هذا الكلام أمران:

١ - لا يحقّ للدول الغربية الاستئثار بالعلم والمعرفة.

٢ - يجب على الشعوب المسلمة أن لا تتوانى في طلب العلم وتحصيله، بحجة أنّها علوم غريبة.

وبناءً عليه، يرى سماحته عليه السلام أنّه من الممنوع أن تحكّمتنا العقلية الخاطئة القائلة: إنّ العلم والصناعة والتكنولوجيا والأمور التقنية من مختصات الأجانب والأوروبيين والغربيين، ولا طاقة لنا بها، بل يجب على كلّ شعب أن يتعلّم، لكي يتمكن من بناء بلده بنفسه^(٣).

ثالثاً: جدئية تطوّر المجتمع والعلم:

يرى الإمام الخامنئي عليه السلام أنّ الثورة الإسلامية تشكّل بداية تحوّل نحو تطوّر الشعب الإيراني وازدهاره، وتمهيداً لبناء حضارة إسلامية كبرى، وأنّ المجتمع يستحقّ وصّف الإسلام؛ عندما يولي اهتماماً خاصاً بالعلم والمعرفة، ويتمكّن من حمل لواء العلم والثقافة الأصيلة في كلّ العالم.

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع عوائل الشهداء والفئات الشعبية المختلفة، بتاريخ: ١٣٧٠/٩/١٢ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع أساتذة الجامعة، بتاريخ: ١٣٨٤/٧/٢١ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع جمع من عوائل الشهداء والفئات الشعبية المختلفة، بتاريخ: ١٣٧٠/٩/١٢ هـ.ش.

فإذا استطاع البلد أن يتطور في مجال العلم والتقنية، ويتمكن من استغلال الاستعدادات والإرث الثقافي والثروات الغنيّة بالشكل الصحيح، وأن يكون ذا دبلوماسية دولية قويّة، فسيتمكّن عندها من الوقوف في وجه الغرب^(١). لذا، فالمجتمع الإسلامي هو المجتمع النابض بالعلم، وهو مجتمع يبني كلّ أبنيته ويرفعها بالعلم^(٢).

ويعتقد الإمام الخامنئي عليه السلام أنّ الأيدي الفارغة التي لا تحمل العلم لا يمكن أن تنجز شيئاً^(٣). ومن هنا، كانت رسالة كسر جدران الجهل والوصول إلى التطور العلمي بمثابة الرسالة الكبرى التي يجب أن تحملها كلّ فئات المجتمع، وأن تشكل القضية الأولى والأهمّ بالنسبة للجامعيين والحوزويين وأصحاب العلم ووسائل الإعلام^(٤). فإذا لم نستثمر اليوم في العلم ونجاهد ونسعى للحصول عليه، فإنّ غدنا سيكون مظلماً. وإذا لم نمتلك العلم، فسنعاني غداً من التخلف في الاقتصاد والصناعة والإدارة والقضايا الاجتماعية^(٥).

رابعاً: منزلة العلوم الإنسانية بين العلوم:

يعتقد الإمام الخامنئي عليه السلام أنّ «ما يحفظ البلد ويصونه ليس السلاح والآلة العسكرية فقط، بل الإيمان والعلم، وتفتح استعدادات الشعب والشباب في مختلف التخصصات العلمية، ومنها: العلوم الإنسانية التي تقوّي الشعب وتصونه في مواجهة أعدائه»^(٦). لذا، «علينا أن نستشعر العزّة في أنفسنا في جميع التخصصات

(١) روشنای علم [نور العلم]. م. س، ص ٧٤.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع عوائل الشهداء، بتاريخ: ١٣٨٤/٣/٢ هـ. ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع وزير الثقافة والتعليم العالي ومسؤولي الوزارة ورؤساء الجامعات، بتاريخ: ١٣٦٩/٥/٢٢ هـ. ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أساتذة الجامعة، بتاريخ: ١٣٨٤/٧/٢١ هـ. ش.

(٥) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في تجمع طلاب وأساتذة جامعة صنعتي أمير كبير، بتاريخ: ١٣٧٩/١٢/٩ هـ. ش.

(٦) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع علماء ورجال الدين في كرمان، بتاريخ: ١٣٨٣/١٠/١١ هـ. ش.

العلمية بكل ما للكلمة من معنى، وعلينا أن نصل إلى مرحلة شعر معها، بصفتنا شعباً ومجتمعاً، أننا منتجون للعلم، ومن أصحاب الفتوحات العلمية»^(١).

ويؤكد سماحته رحمته الله على أن «العلم ليس منحصرًا بالعلم المادّي والعلوم الطبيعية فقط؛ فالعلوم الإنسانية شيء مهمّ جدًّا وليست أقلّ منها، من قبيل: علم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة»^(٢).

ولا تقتصر مسألة إنتاجية العلم عند سماحته رحمته الله على العلوم الأساسية^(٣) والاختبارية فحسب، بل تشمل جميع العلوم، ومنها: الإنسانية...

وفي صدد تقويمه رحمته الله لحركة إنتاجية العلم في مجال العلوم الإنسانية لدى المسلمين، يفيد بأنّها لم تكن حركة لائقة وجيدة، كما كان متوقّعا^(٤).

وينظر الإمام الخامنّي رحمته الله إلى العلوم الإنسانية بوصفها أحد الأركان الأساسية في ثقافة المجتمع، حيث يجب في الهندسة الثقافية إيلاء العلوم الإنسانية عناية خاصّة. كما يجب الاستثمار في هذا المجال، فكرياً، وعلمياً، ومالياً، وإعلامياً في البلد، لكي تمضي عجلة إنتاجية العلوم الإسلامية قدماً^(٥).

ويكمن سرّ اهتمام الإمام الخامنّي رحمته الله بالعلوم الإنسانية بنوع رؤيته لموضوع الثقافة والتطور؛ فهو يرى أنّ كلّ العلوم والتحوّلات الاجتماعية والثقافية أساسها فكر الإنسان، فالإنسان هو نفسه المؤثر في التحوّلات

(١) من كلام للإمام الخامنّي رحمته الله ألقاه في لقائه مع وزير العلوم ورؤساء الجامعات، بتاريخ: ١٧/١٠/١٣٨٢ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنّي رحمته الله ألقاه في لقائه مع وزير العلوم ورؤساء الجامعات، بتاريخ: ١٧/١٠/١٣٨٢ هـ.ش؛ من كلام للإمام الخامنّي رحمته الله ألقاه في لقائه مع أساتذة وطلاب الجامعة في كردستان، بتاريخ: ٢٧/٢/١٣٨٨ هـ.ش.

(٣) المقصود هو: علم الأحياء، الكيمياء، الفيزياء (Fundamental Sciences).

(٤) من كلام للإمام الخامنّي رحمته الله ألقاه في لقائه مع جمع من أساتذة الجامعات من أنحاء البلد، بتاريخ: ٨/٨/١٣٨٢ هـ.ش.

(٥) من كلام للإمام الخامنّي رحمته الله ألقاه في لقائه مع أساتذة وطلاب جامعة الإمام الصادق عليه السلام، بتاريخ: ٢٩/١٠/١٣٨٤ هـ.ش.

والتغيرات الاجتماعية. ولهذا كانت الرؤية الكونية التي يحملها الإنسان وكذلك رغباته تؤثر تأثيراً كبيراً على الأحداث. ومن هنا، باتت العلوم الإنسانية هي التي تحدّد وجهات العلوم الأخرى وأهدافها، بسبب ارتباطها الوثيق بفكر الإنسان وعقيدته.

لذا، «إنّ ما يُقال من أنّ تطوّر العلوم يكمن وراءه تطوّر الفكر، وأنّ بداية تحوّل الشعوب هي في الأصل حاصل الفكر والعقيدة قبل أن تكون نتيجة العلم والتجربة، هو كلام صحيح وثابت. ولهذا أنا أتعامل مع موضوع العلوم الإنسانية بحساسيّة»^(١).

ويستنتج من مجموع كلمات الإمام الخامنئي عليه السلام أنّه يعتبر العلوم الإنسانية مسؤولة عن عدّة أمور مهمّة:

إنّ العلوم الإنسانية هي روح المعرفة والإطار الأهمّ للعلوم البشرية، سواء أكان منها الإنسانية أم الطبيعية، لأنّ «جميع العلوم والحركات الكبرى في المجتمع تشبه الجسد الواحد، والعلوم الإنسانية هي بمثابة الروح لهذا الجسد. والعلوم الإنسانية هي التي ترشدنا وتحدّد لنا الجهة التي يجب أن نتحرّك نحوها، والهدف الذي تنشده المعرفة. وعندما تنحرف علومنا الإنسانية، وتُبنى على أسس معوجّة ورؤى كونية [أيديولوجيات] سقيمة، فسوف تسير تحركات مجتمعنا كلّها في خط انحرافي»^(٢).

إنّ كثيراً من الأحداث في العالم - سواء أكان ما يتعلّق منها بالأمر السياسي أم الاقتصادية أم غيرها - هو حصيلة الآراء المطروحة في العلوم الإنسانية، «فنحن بحاجة إلى تكوين نظريات في العلوم الإنسانية، لأنّ الكثير من الأحداث في العالم، حتى في مجال الاقتصاد والسياسة وغيرهما، تابع لآراء أصحاب الرأي في العلوم الإنسانية، في الاجتماع

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع جمع من طلاب الجامعات، بتاريخ: ١٩/٥/١٣٩٠هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع جمع من المتفوّقين والنخب العلمية، بتاريخ:

١٣/٧/١٣٩٠هـ.ش.

والنفس والفلسفة، فهؤلاء هم الذي يحدّدون لنا الشواخص [التي يجب أن نتحرّك على أساسها]^(١)..

احتياج إدارة البلد إلى عدّة علوم، ومنها: العلوم الإنسانية، «فعندما نتحدّث عن العلم، من الممكن أن نخاطر على البال العلوم المرتبطة بالصناعة والتكنولوجيا بالدرجة الأولى - وهذا ما ينصبّ عليه اهتمام الجامعة بشكل أساس - بينما أنا أتحدّث في هذا الموضوع بعمومه وعلى إطلاقه. فإنّ العلوم الإنسانية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها من الموضوعات المتنوّعة التي نحتاجها بشكلها العلمي من أجل إدارة البلد [هي بحاجة إلى الابتكار والتجديد الفكري العلمي، أي الاجتهاد]^(٢)..

إنّ أعلام العلوم الإنسانية هم الأكثر تأثيراً وشهرةً من أعلام العلوم الأخرى، وإذا أصبحت من النخب في العلوم الإنسانية، كالتاريخ، والاجتماع، والنفس، وتطوّرت فيها، فاعلموا أنّ قدركم في المجتمع وعلى الصعيد العالمي بالتأكيد لن يكون أقلّ من طبيب محترف، بل سيكون أعظم... لاحظوا الآن الشخصيات العلمية المعروفة في العالم، كم منهم من الأطباء، وكم منهم من علماء اجتماع أو من المؤرّخين... سوف ترون أنّ الصنف الثاني هم الأكثر عدداً وبيرواً^(٣)..

خامساً: خصائص العلوم الإنسانية:

يرى الإمام الخامنئي عليه السلام أنّ العلوم الإنسانية هي نوع خاصّ من المعرفة، يختلف في كثير من الأمور مع العلوم الأساسية والطبيعية، ويعدّ المواجهة القائمة بين العلوم الأساسية والعلوم الإنسانية إحدى الآفات الكبرى في نظام البلد التعليمي^(٤).

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام أقامه في لقائه مع أساتذة وطلاب جامعات شيراز، بتاريخ: ١٤/٢/١٣٨٧ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام أقامه في لقائه مع طلاب وأساتذة جامعة صنعتي أمير كبير، بتاريخ: ٩/١٢/١٣٧٩ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام أقامه في لقائه مع نخب الشباب، بتاريخ: ٢٥/٦/١٣٨٥ هـ.ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام أقامه في لقائه مع أعضاء شوري الثورة الثقافية، بتاريخ: ١٣/١٠/١٣٨٤ هـ.ش.

ويمكننا أن نستنتج من مجمل كلام الإمام الخامنئي عليه السلام عدّة من خصائص العلوم الإنسانية التي لها دور مهمّ في كشف عيوب الدراسات الغربية في العلوم الإنسانية، ونحو اختلافها مع العلوم الإنسانية الإسلامية، ومنها:

العلوم الإنسانية هي حصيلة التساؤلات التي يطرحها المجتمع: فهي ليست كالعلوم الطبيعية قائمة على معرفة الأشياء الفيزيائية، بل هي علوم تاريخية ومرتبطة بالهوية، تنهض نتيجة لحاجات كلّ مجتمع ومقتضياته. ولذا، يذهب الإمام الخامنئي عليه السلام إلى أنّ العلوم الإنسانية هي حصيلة الإجابات عن التساؤلات والاحتياجات الأساسية في أيّ مجتمع من المجتمعات.

وبما أنّ هناك أسئلة أساسية خاصّة بكلّ مجتمع، بحيث تتوافق مع ظروفه التاريخية الخاصّة، وتتكلّم العلوم الإنسانية بالإجابة عنها، فلا يمكن تصوّر انتفاع مجتمع بأسئلة مجتمع أجنبي، ما لم تكن حاجات ذلك المجتمع الأساسية والأصيلة تدور في فلك ذلك المحور. ومن هذا المنطلق، فإنّ العلوم الإنسانية الغربية ناظرة إلى المجتمع والإنسان الغربي، وهي بالتالي غريبة عنا، ولن تنفع إرشاداتها وأساليبها مجتمعا.

إنّ «العلوم الإنسانية مهمّة، لكنّ العلوم الإنسانية التي لدينا اليوم ليست أصيلة... ليست لنا... لا تأخذ حاجاتنا بعين الاعتبار... لا تستند إلى فلسفتنا، ولا إلى معارفنا... إنّها ناظرة في الأساس إلى قضايا أخرى، ولا تحلّ مشاكلنا... هؤلاء أشخاص طرحوا مشكلة، وعثروا على حلّ لهم، لا دخل لنا بصحّته أو خطئه حتى، فهي قضية غريبة عنّا من الأساس»^(١).

العلوم الإنسانية قائمة على الرؤى الكونية والقيم الحاكمة في

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع أساتذة الجامعة، بتاريخ: ١٤/٦/١٣٨٩ هـ.ش.

المجتمعات: يرى الإمام الخامنئي عليه السلام أن العلوم الإنسانية المتولدة في الغرب، تقوم على رؤية كونية مادية، فارغة من الأديان والقيم الإلهية^(١)، «الكثير من مواضيع العلوم الإنسانية قائمة على فلسفات مادية المبني، مبناها: اعتبار الإنسان حيواناً، وانعدام مسؤولية الإنسان تجاه الله تعالى، وفقدان النظرة المعنوية إلى الإنسان والعالم»^(٢). وهذا يعني أن لديها كلاماً آخر، وهدفاً آخر^(٣).

ومن هذا المنطلق كان تحويل العلم في العالم الغربي إلى أداة لاستعمار الشعوب واستثمارها، ناتجاً عن هذه الميزة في العلوم الإنسانية؛ فأديولوجيا فصل العلم عن القيم الإلهية^(٤)، إضافة إلى حبّ المصلحة الشخصية وحاكمية رأس المال، بصفتها أيديولوجيا حاكمة على السلوك الأوروبي والغربي^(٥)، أعطت العلم وجهة استعمارية، فاستُخدم لفتح البلاد، واستعمار الشعوب.

كذلك، فإن من علامات تأثر العلم الغربي بالثقافة والقيم الحاكمة، النسبية والتشكيك في الأصول العقلية والأخلاقية وحتى العلمية^(٦).

«إنّ العلم الحاكم اليوم في الغرب ليس دعابة، وليس بالأمر الصغير... إنّ العلم الغربي هو ظاهرة تاريخية قلّ نظيرها، ولكنّ هذا العلم استُخدم طوال السنوات المتمادية في سبيل الاستعمار، والاستعباد وتملك العبيد، وفي سبيل الظلم، ونهب ثروات الشعوب، واليوم ترونهم ماذا يفعلون... كلّ ذلك ناتج عن الفكر السقيم، والنظرة والرؤية الخاطئتين، والتوجّه الخاطئ، وقد جرى استغلال العلم في سبيل هذه

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع جمع من طالبات علوم القرآن، بتاريخ: ١٢٨٨/٧/٢٨ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ١٢٨٨/٦/٨ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع طلاب وأساتذة وفضلاء الحوزة العلمية في قم المقدسة، بتاريخ: ١٢٨٩/٧/٢٩ هـ.ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ١٢٨٤/٩/٢٦ هـ.ش.

(٥) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع ضيوف المركز العالمي للعلوم الإسلامية، بتاريخ: ١٢٨٤/٣/٢١ هـ.ش.

(٦) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع طلاب وأساتذة جامعات محافظة كرمان، بتاريخ: ١٢٨٤/٢/١٩ هـ.ش.

الأهداف على الرغم من عظمتها، وشرفه، وعزته وكرامته»^(١).
فالعالم -إذن- إنما يستطيع أن يلبي حاجات الشعب، حينما يكون منسجماً مع نظام القيم في ذلك المجتمع، وإلا لن يستطيع تحقيق مطالبه وغاياته، وإذا كانت العلوم السياسية والاقتصادية أو الفلسفة والإدارة وسائر العلوم الإنسانية، مستندة في النهاية إلى الرؤية الماديّة للعالم، وبُنيت وفق القيم الماديّة، فمن الطبيعي أن لا تستطيع تلبية حاجات وغايات المجتمع المسلم المؤمن بالمعارف الإسلامية»^(٢).

العلوم الإنسانية قابلة للتكامل: ينظر الإمام الخامنئي عليه السلام - من منظار رؤيته التكاملية - إلى العلوم البشرية على أنها تسير نحو التكامل، بسبب تطوّر العلم وتجربة البشر. ولهذا، فإن كثيراً من الأمور التي كانت تستخدم أصبحت قديمة واستبدل بها غيرها. وعليه، يجب إلقاء ما استبدل جانباً، ومواكبة ركب حركة العلم^(٣).

وينتقد الإمام الخامنئي عليه السلام الأشخاص الذين يتمسكون بالآراء والنظريات العلمية التي أصبحت اليوم جزءاً من الماضي، حيث عفت سنوات طويلاً على استبدال النظريات الحاكمة على مراكز الاقتصاد في العالم، وهناك كلام جديد متداول الآن، ولكن هناك مجموعة تبقى عينها على تلك النظريات القديمة البالية، عندما تريد أن تخطّط في الأمور الاقتصادية! فهؤلاء لديهم مشكلتان: الأولى: أنهم مقلدون، والثانية: أنهم غافلون عن التحوّلات الحديثة»^(٤).

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع جمع من النخب العلمية والمتفوقين، بتاريخ: ١٣٩٠/٧/١٢هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع الطلاب الجامعيين في الحادي عشر من شهر رمضان، بتاريخ: ١٣٨٩/٥/٢١هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع نخب الحوزة العلمية في قم المقدّسة، بتاريخ: ١٣٧٤/٩/١٢هـ.ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع شباب والأساتذة والمعلمين وطلاب جامعات محافظة همدان، بتاريخ: ١٣٨٢/٤/١٧هـ.ش.

سادساً: النظرة التقليدية، آفة العلوم الإنسانية :

يعتقد الإمام الخامنئي عليه السلام أنّ أهمّ الآفات التي تحديق بالعلوم الإنسانية تأتي نتيجة قلة الاعتناء بالخصائص الثلاث الآتية الذكر للعلوم الإنسانية، فالعلوم الإنسانية - كما مرّ - مقولة تاريخية منبثقة عن حاجات المجتمعات البشرية وتساؤلاتها، التي تنتهج [أي المجتمعات] طريقة خاصة فيما يتعلّق بالرؤية الكونية والقيم الحاكمة في المجتمع، كما أنّ العلوم الإنسانية تسير في مسيرة تكاملية. لذا، لا يمكن الاكتفاء بمحض التقليد والترجمة.

إنّ أهمّ آفة تعانيها العلوم الإنسانية هي النظرة التقليدية المحضة إلى النتائج العلمية الغربية، حيث أدّى هذا التقليد والوقوف عند حدود الترجمة، دون التجرؤ على النقد والإبداع العلمي، إلى تحوّل النظريات الغربية إلى ما يشبه «الصنم» عند بعض الأساتذة، الذين يعتبرونها وحيّاً منزلاً، ويعطونها مكانة وكأنّها لا تمسّ (١)، فيتعاملون معها كالمقدّسات التي يجب عبادتها، والتي يكفر من يوجّه إليها أيّ نقد أو يضعها تحت مجهر التقويم. فباتت نظريات علم الاجتماع الغربية عند بعضهم بمنزلة القرآن، بل أرفع منزلة... فلان، عالم الاجتماع قال: كذا... هذا غير خاضع للنقاش! لماذا؟» (٢).

ومن الواضح أنّ هذه النظرة يمكن أن تترك بعض الآثار التربوية السلبية، منها:

- الجمود والتجبر على العلم الغربي، والتعصّب له (٣).
- احتقار الذات، والاستلاب في مقابل الغرب (٤)، واعتبار الإنسان الشرقي غير مؤهلّ للابتكار وإنتاج العلم (٥).

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أعضاء نادي أهل القلم، بتاريخ: ١٣٨١/١١/٧ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع الأساتذة والطلاب الجامعيين في كردستان، بتاريخ: ١٣٨٨/٢/٢٧ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أعضاء نادي أهل القلم، بتاريخ: ١٣٨١/١١/٧ هـ.ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع طلاب الجامعة من أنحاء البلد، بتاريخ: ١٣٨٧/٧/٧ هـ.ش.

(٥) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع شباب وأساتذة ومعلمين وطلاب جامعات محافظة همدان، بتاريخ: ١٣٨٣/٤/١٧ هـ.ش.

وعليه، ليس مجرد ترجمة الأعمال الغربية عملاً مذموماً؛ فالأعمال المهمة والفاخرة يجب أن تترجم، ولا مانع من قراءتها ودراستها^(١)، لكن المشكلة الأساس والآفة الكبرى تكمن في الانبهار بالنظريات الغربية، وترويج فكر وذوق وروح الترجمة والتقليد، التي تؤول في النهاية إلى سلب قدرة الشعب على الابتكار، وتسلبه شجاعة طرح الأفكار الجديدة. فقد «ظلوا يقرعون رأس الإنسان الشرقي ويلقنونه دوماً: أنه إذا أردت أن تحقق شيئاً، وأن تصبح بشراً، يجب أن تعمل كما عمل الغربيون، وأن لا تحيد عنه قيد أنملة! لم يسمحوا بالابتكار والإبداع والخلاقية العلمية... إن العلم والفكر أمران لا بد أن يُنتجا^(٢). كما أن احتقار الذات هذا يؤدي إلى الغفلة عن الطاقات الوطنية والثروات الإسلامية الغنية^(٣).

سابعاً: أساليب إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية:

إن الدولة التي تدعي أنها تعمل على بناء حضارة، عليها - إضافة إلى إفادتها من إنجازات الآخرين العلمية - أن تشد العزم على الخلاقية، والإبداع، والإنجازات العلمية الجديدة، وأن تسير على طريق إستراتيجية نهضة علمية في جميع المجالات.

لذلك، بدأ الإمام الخامنئي عليه السلام منذ السبعينيات^(٤) بإطلاق طروحات جديدة في المجال العلمي والثقافي، وذلك تحت عناوين مختلفة، منها: حركة البرمجة، ونهضة إنتاج العلم، والتفكير الحر، من منطلق أنه لا يليق بالحركة العظيمة التي تقودها الثورة الإسلامية أن تكون مقلدة، وأن لا تستطيع الابتكار، واختراع الأفكار في المجالات والأبعاد المختلفة، وفق ما تتطلبه إدارة المجتمع والبلد بأسلوب علمي، وهي المنادية ببناء

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع الشباب في محافظة أصفهان، بتاريخ: ١٢/٨/١٣٨٠هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع الشباب في محافظة أصفهان، بتاريخ: ١٢/٨/١٣٨٠هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ٦/٨/١٣٨٨هـ.ش.

(٤) سبعينيات القرن الهجري الشمسي، السنة الهجرية الشمسية الحالية هي ١٣٩١.

النظام، وبناء الدولة والحضارة، وفق المباني والأصول والقيم الجديدة، غير الشبيهة بالغرب أو الشرق.

لذلك، «علينا أن نصل إلى درجة الاجتهاد في العلوم الإنسانية، وأن لا نبقى مقلّدين»^(١)، «فالابتكار، وإنتاج العلم في جميع المجالات والعلوم، وخاصة في العلوم الإنسانية هو أمر ضروري، والأمر كما يقول الضالعون في العلوم الإنسانية: لا نعدو كوننا مترجمين للآراء الغربية. لقد ذكر أولئك أموراً وكتبوها، فذكرناها بعينها في مراكزنا التعليمية، ودرّسناها وكرّرتها. وعليه، يجب أن نفسح المجال في الابتكار والابداع، فلدينا أشخاص مميّزون، يستطيعون أن يقدموا أشياء جديدة في بعض العلوم الإنسانية؛ كالفلسفة - مثلاً -، فالمجال فيها واسع»^(٢).

ثامناً: أهميّة عامل الاجتهاد في إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية :

قسّم الإمام الخامنّي عليه السلام العلوم الإنسانية إلى قسمين، هما^(٣):
القسم الأول: العلوم ذات الركائز المتجدّرة في ثقافة ماضيها.
القسم الثاني: بعض العلوم الإنسانية التي لم توجد في تاريخنا، بوصفها علماً، وهي أحد نتاجات الغرب، أي أدّى تطوّر الغربيين في المجال العلمي إلى اختراع هذه العلوم، كعلم النفس وغيره.
ويرى الإمام الخامنّي عليه السلام أنّه يجب تقوية القسم الأوّل ذي الجذور المتأصّلة في الثقافة الإسلامية العريقة والعميقة، وتطويره والاستفادة منه في تقويم علوم القسم الثاني ونقدها واختبارها، وأنّ مخزون الدين

(١) من كلام للإمام الخامنّي عليه السلام ألقاه في لقائه مع جمع من طلاب الجامعات، بتاريخ: ١٩/٥/١٣٩٠هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنّي عليه السلام ألقاه في لقائه مع شورى الثورة الثقافية رئيساً وأعضاء، بتاريخ: ٢٢/١٠/١٣٨٢هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنّي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أساتذة وطلاب جامعة الإمام الصادق عليه السلام، بتاريخ: ٢٩/١٠/١٣٨٤هـ.ش.

الإسلامي المنتج للمعرفة الإنسانية لا ينفد، وأنّ نظرة الإسلام إلى الإنسان، والعلم، وحياة البشر، وعالم الطبيعة، وعالم الوجود، هي نظرة تُقدّم للإنسان معرفة جديدة^(١).

هكذا إذن، نرى اختلاف نظرة الدين الإسلامي إلى العلم عن نظرة العلوم الإنسانية الماديّة الغربيّة إليه، فالإسلام يريد العلم لسعادة البشر وتطوّرهم وازدهارهم، ومن أجل استقرار العدل، وتحقيق الأمنيات الأساسيّة للبشر^(٢)، بينما جاءت انطلاقة العلم في الغرب بعد صراعهم مع ما اعتقدوا أنّه الدين^(٣).

لذلك، يركّز الإمام الخامنئي عليه السلام بشكل خاصّ على تقوية علوم المسلمين وميراثهم العلمي، ويطلب من أساتذة الحوزة، والجامعة، والعلماء العارفين بالإسلام، أن يعملوا على تقوية هذه العلوم، حيث «إنّ مسؤوليّة التنظير السياسي والتنظير في كلّ الأمور الدخيلة في إدارة شعب وبلد في النظام الإسلامي، تقع على عاتق علماء الدين، فلا يستطيع طرح رأي الإسلام في مجال الاقتصاد، والإدارة، وقضايا الحرب والسلم، والمسائل التربوية، وغيرها من المسائل الكثيرة، إلا من كان متخصصاً في المجال الديني، عارفاً به. وإذا لم يُملأ فراغ التنظير هذا، ولم يتصدّ علماء الدين لهذا العمل، فالنظريات الغربية، والنظريات غير الدينية، النظريات المادية؛ سوف تأخذ مكانها. فليس هناك من نظام أو تشكيل يمكن أن يُدار من الفراغ، وسيأتي نظام إداري آخر، ونظام اقتصادي آخر، ونظام سياسي آخر من صنع الأذهان الماديّة وإعدادها، ليملاً الفراغ، كما حصل في بعض المواضع التي كان الفراغ فيها ملحوظاً»^(٤).

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ١٣٨٣/٩/٢٦ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع وزير العلوم وأساتذة جامعة طهران، بتاريخ: ١٣٨٨/١١/١٢ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ١٣٨٣/٩/٢٦ هـ.ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع طلاب الحوزة العلميّة في قم المقدّسة وفضلائها وأساتذتها، بتاريخ: ١٣٨٩/٩/٧ هـ.ش.

وهناك نقاط جديرة بالاهتمام في صدد تحديث العلوم وإيجاد علوم إنسانية إسلامية، منها:

١- النهج الاجتهادي في الحوزات العلمية:

يرى الإمام الخامنئي عليه السلام أنّ مخزون إرث العلوم الإسلامية فيما يتعلّق بإنتاج علوم إنسانية إسلامية، لا يقتصر على مصادره، بل يشمل الأسلوب والمنهج الخاصّ بالاجتهاد والتفقّه الديني الذي يمكن أن يفسح الطريق أمام المفكرين، ليكتشفوا الأنماط الإسلامية للعلوم الإنسانية، لذا، «فإنّ طريقة فهم معارف الأحكام من الكتاب والسنة - أي كيف نفهم المطالب وبأيّ أدوات - تسمّى الفقاهة. وهذه «الفقاهة» هي أسلوب فعّال وثروة عظيمة بين أيدينا، والكتاب والسنة والنتاج الفكري للسابقين هي موادّها الأوتية. وعبر هذا الأسلوب ومن خلال هذه الأطر نستطيع أن نستخرج حاجات البشر كلّها، ثمّ نضعها بين يدي هذه البشرية التائهة... نحن بحاجة إلى الاستفادة القصوى من هذا المنهج^(١).

إنّ السير على المنهج الاجتهادي يقوّي العلوم الإسلامية والإنسانية. وتجدر الإشارة إلى أنّ الاجتهاد غير مختصّ بالفقه؛ بل هو مطلوب - أيضاً - في العلوم العقلية، في الفلسفة، والكلام... ومن هذا المنطلق، يجب أن نسعى إلى بحث نظرية المعرفة، والفكر الاقتصادي والسياسي الإسلامي، والمفاهيم الفقهية والقانونية، ونظام التعليم والتربية، والمفاهيم الأخلاقية والمعنوية، وذلك من خلال المنهج الاجتهادي وحركته المتجدّدة^(٢).

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاء طلاب الحوزة العلمية في قم المقدّسة وفضلائها وأساتذتها، بتاريخ: ١٢٧٠/١٢/١ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع طلاب الحوزة العلمية في قم المقدّسة وفضلائها وأساتذتها، بتاريخ: ١٢٨٩/٧/٢٩ هـ.ش.

٢- دور علم الفقه والأصول في إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية:
«يجب أن يتطوّر الفقه والفقاهة في الحوزات. والتطوّر المقصود هو التطوّر بلحاظ العمق، وبلحاظ السعة وشمول قضايا الحياة... يجب أن يصبح الفقه أعمق ممّا هو عليه»^(١).

فمن الضروريات التي يجب أن يعنى بها الفقه والفقهاء في الحوزات العلمية: فتح آفاق ومجالات جديدة في علم الفقه^(٢)، والتحلّي بالقدرة على تحمّل الآراء الجديدة^(٣)، وبحث وتنقيح جميع موضوعات الفقه التي يتطلبها تدوين قوانين إسلامية لإدارة النظام الإسلامي^(٤).

و«إنّ الاهتمام بـ«فقه الحكومة»، واستخراج الأحكام الإلهية في جميع شؤون الحكومة، والنظر إلى جميع الأحكام الفقهية بعين الحكومة، أي ملاحظة تأثير كلّ حكم من الأحكام في تأسيس المجتمع الأنموذجي والحياة الطيبة الإسلامية، هو اليوم أحد الواجبات الأساسية في مجال الفقه الإسلامي. والنظام العلمي في الحوزة هو الذي يبعث الأمل على تحقّقه»^(٥).

٣- دور علم الفلسفة في إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية:

إنّ الفلسفة الإسلامية هي من جملة العلوم العميقة والدقيقة المنبثقة عن ثقافة الإسلام، والتي توسّعت وقويت على يد الحكماء المسلمين العظام، وليس هناك من فلسفة شرقية أو غربية تضاهيها. لذلك، فإنّ تقوية الفلسفة الإسلامية ونشرها، بصفتها مبنى عميقاً ودقيقاً لمعرفة الوجود ونظرية المعرفة في العلوم، هو أحد واجبات الحوزة والجامعة^(٦).

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في بداية درس البحث الخارج في الفقه، بتاريخ: ١٣٧٠/٦/١ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه بتاريخ: ١٣٧٤/٩/١٦ هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه، بتاريخ: ١٣٧٣/٦/٢٠ هـ.ش.

(٤) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه، بتاريخ: ١٣٧١/٨/٢٦ هـ.ش.

(٥) م.ن.

(٦) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع طلاب الحوزة العلمية في قم المقدّسة وفضلاتها

وأساتذتها، بتاريخ: ١٣٨٩/٧/٢٩ هـ.ش.

كما أنّ إدخال الفلسفة الإسلامية إلى المشهد الثقافي، والسياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، وطرح الرؤى الواضحة للمديرين والمؤسّسات المختلفة، لتفادي الطرق المسدودة، وشقّ الطرق الأفضل المؤدّية إلى تحقيق الأهداف، وتنفيذ الأعمال على نحو أنسب، وفقاً للمباني المعرفية والفلسفية للحكمة الإسلامية، هي الرسالة المهمة التي يجب أن تؤدّيها الفلسفة في إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية.

ومن هذا المنطلق، فإنّ النقص الذي تعانیه فلسفتنا ليس من ناحية أنّها ذهنيّة، فالفلسفة بطبيعتها ذهنيّة، وهي بالطبع مرتبطة بالذهن والعقل، بل يكمن في أنّ هذه الذهنية ليس لها امتدادها السياسي والاجتماعي. فالفلسفة الغربية تحدّد العمل المطلوب في كلّ قضايا حياة الناس تقريباً؛ تحدّد النظام الاجتماعي، والسياسي، وشكل الحكومة، وكيفية تعامل الناس بعضهم مع بعضهم الآخر، بينما تنحصر فلسفتنا عموماً في إطار المفاهيم الذهنيّة المجرّدة، ولا تأخذ امتدادها... عليكم أن تعملوا على تظهير هذا الامتداد... هناك نقاط مهمّة في مبانينا الفلسفية إذا ما توسّعت وتعمّقت فسوف تخلق تيّارات فيّاضة خارج الإطار الذهنيّ، بحيث تحدّد تكليف المجتمع والحكومة، وتوضّح الطريق تجاه الاقتصاد... عليكم أن تتبّعوا هذه النقاط وتحّدّدوها، وأن تعملوا عليها، وأن تبنيوا على أساسها نظاماً فلسفياً كاملاً، حيث يمكننا أن نبني نظاماً فلسفياً، اجتماعياً، سياسياً واقتصادياً من وحدة الوجود، ومن «بسيط الحقيقة كلّ الأشياء»، من مباني الملا صدرا، وإذا لم نقل منها جميعاً، فمن الكثير منها^(١).

إنّ رصد الفلسفة الغربيّة واستيعابها في الفلسفة الإسلامية، هو -أيضاً- من الأدوار التي يمكن أن يتصدّى لها الفلاسفة في عملية إنتاج العلوم الإنسانيّة الإسلاميّة^(٢).

(١) من كلام للإمام الخامنّي عليه السلام ألقاه في لقائه مع نخب العلوم العقلية وفضلائها في الحوزة العلمية بقم المقدّسة، بتاريخ: شتاء ١٣٨٢ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنّي عليه السلام ألقاه في بداية درس البحث الخارج في الفقه، بتاريخ: ٢١/٦/١٣٧٠ هـ.ش.

٤- معارف القرآن الكريم والتفسير:

يعتقد الإمام الخامنئي رحمته الله بأن الاهتمام بالقرآن الكريم واستخراج مباني العلوم الإنسانية منه، هو أحد الخطوط التوجيهية الأساسية في إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية، حيث يلزم العثور على أصل العلوم الإنسانية وأساسها وركزتها من القرآن الكريم... هذا أحد الأقسام المهمة من البحوث القرآنية... يجب أن يعتنى بالنكات والدقائق القرآنية في مختلف المجالات، ويجب التفتيش عن مباني العلوم الإنسانية في القرآن الكريم والعثور عليها... هذا عمل أساس ومهم جداً. وإذا حصل هذا الأمر، فسيتمكّن المفكّرون والباحثون وأصحاب الرأي في العلوم الإنسانية المختلفة، من تشييد الأبنية الرفيعة على هذا الأساس (القرآن) وهذه الركيزة.

طبعاً في تلك الحالة يمكنهم أن يستفيدوا من إنجازات الآخرين من الغربيين وأصحاب السبق في العلوم الإنسانية، ولكنّ المبنى يجب أن يكون مبنى قرآنياً^(١).

تاسعاً: ضوابط الاستفادة من الاكتشافات العلمية للآخرين:

أتضح ممّا سبق تقسيم العلوم الإنسانية إلى فئتين، من حيث تجذّرها في سنّتنا الإسلامية والعلمية أم عدمه. وقد أتضح - أيضاً - التكليف تجاه الفئة الأولى المتجذّرة في السنّة الإسلامية. أمّا بالنسبة للفئة الثانية التي نشأت في حضان المجتمع الغربي، فسننتطرق إليها ضمن نقاط عدّة، هي:

١- تجنّب الإفراط والتفريط: تقدّم فيما سبق أنّ الآفة الأساسية التي تعاني منها العلوم الإنسانية في إيران تكمن في خطورة نفوذ الفكر التقليدي القائم على أساس التسليم المطلق لما توصل

(١) من كلام للإمام الخامنئي رحمته الله ألقاه في لقائه مع جمع من طالبات علوم القرآن، بتاريخ: ١٣٨٨/٧/٢٨هـ.ش.

إليه الغربيون داخل المجتمع. ولكن يجب أن لا تأخذنا هذه الآفة إلى حافة الإفراط أو التفريط، بحيث نحرم أنفسنا من إنجازات الغرب. «فنحن لم نقل أبداً: إنه علينا أن لا نتعلم علوم الغربيين الذين قطعوا أشواطاً كبيرة من التطور في المجالات المختلفة في العلوم الإنسانية على مدى قرون عدّة، أو أن لا نقرأ كتبهم... نحن نقول علينا أن لا نقلدهم»^(١).

ومن هذا المنطلق، إن طريق الخلاص من المعضلة الحالية التي تعاني منها العلوم الإنسانية يكمن في إحداث نهضة إنتاج العلم والحركة البرمجية الحرّة. وعندما نتمكّن من فهم آثارهم وأعمالهم وترجمتها بشكل صحيح، يجب أن ننطلق عبر التفكير الحرّ، لكي ننقل بعدها إلى نقد هذه الآثار والأعمال وتقويمها. «فاجلسوا، وفكروا، وضعوا النظريات، واستفيدوا من العلوم المتوافرة في العالم، وأضيفوا إليها شيئاً، وأشيروا إلى أخطائها... هذه من جملة الأعمال الضرورية التي يتطلبها التطور»^(٢).

٢- الاستفادة من نتاج علمي لا يستلزم القبول بنتائجه النهائية: يعتقد الإمام الخامنئي عليه السلام أنّ الأخذ بأسس علم ما، من مؤسّسة خارجة عن فتاعاتنا، لا يعني قبول نتائجه. فهذا يشبه دخولك إلى أحد المصانع، كان يصنع فيه شيء سيئ، فتأتي أنت وتصنع فيه شيئاً جيداً... لا مشكلة في هذا أبداً»^(٣).

لا إشكال في التفريق فيما بين العلوم الإنسانية الغربية والعلوم الإنسانية الإسلامية، وفقاً للمباني والمناهج الصحيحة؛ لا يوجد مانع أو

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع جمع من طلاب الجامعة، بتاريخ: ١٩/٥/١٣٩٠هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع الأساتذة والطلاب الجامعيين في كردستان، بتاريخ: ٢٧/٢/١٣٨٨هـ.ش.

(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أساتذة وطلاب جامعة الإمام الصادق عليه السلام، بتاريخ: ٢٩/١٠/١٣٨٤هـ.ش.

محدور في التلفيق إذا لم يُقصد بالتلفيق الانجذاب والانبهار والتصاغر والانجراف مع تيار تلك العلوم. ومن هنا، فإنّ عليكم في تناولكم للعلوم الإنسانية أن تبحثوا عمّا يمليه عليكم فكركم المؤمن، وميراثكم العظيم والعميق^(١).

٣- إنتاج العلم وفق المعرفة والمباني الصحيحة: يؤكّد الإمام الخامنئي عليه السلام على أهميّة مراعاة خاصيّة إنتاج العلم، وفقاً للضوابط والمباني العلمية الصحيحة. ومن هذا المنطلق، «يجب علينا أن لا نخطئ... وأنا لا أوصي أحداً بالفوضوية العلمية والانشغال بالترّهات، مهما كان مجال العمل، فعندما يحاول أشخاص غير عالمين أن يتخيّلوا أنفسهم مبدعين، سينجرون إلى قول الترهات. وهذا ما نراه في بعض العلوم الإنسانية والمعارف الدينية، حيث ينخرط غير المؤهلين في العمل، من دون أن يكون لديهم المخزون والعلم الكافي، ويتحدّثون، ويتخيّلون أنّهم يبدعون. وهذا في الواقع ليس إبداعاً، بل ترهات. بناءً عليه، أحذركم من هذا في المجال العلمي... يجب أن تتعلّم، لكن يجب أن لا تبقى مجرد مستهلكين لمنتجات الآخرين العلمية... يجب أن ننتج العلم بالمعنى الحقيقي للكلمة. طبعاً، هذا عمل يتطلّب منهجيّة وقواعد»^(٢).

٤- استمرار حركة تطوّر العلم والمعرفة: يرى الإمام الخامنئي أنّ «أبواب كثير من هذه العلوم مغلقة في وجه بلدان، كبلدنا وغيرها من البلدان التي لا تملك هذه العلوم. وهم إنّما يسمحون بانتقال العلم عندما يصبح قديماً مستهلكاً، قد فقد نضارته وحداثته.

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أساتذة وطلاب جامعة الإمام الصادق عليه السلام، بتاريخ: ١٠/٢٩/١٣٨٤ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في تجمّع طلاب وأساتذة جامعة صنعتي أمير كبير، بتاريخ: ١٢/٩/١٣٧٩ هـ.ش.

طبعاً، هذا سار في جميع المجالات، وهو كذلك في العلوم الإنسانية أيضاً^(١).

ولذا، يجب أن نبذل كثيراً من الجهد، كي تصلنا آخر الإنجازات العلمية، لكن من دون أن نعتبرها نهاية المطاف. كما يجب علينا أن نجتهد ونبدع في هذا المجال.

عاشراً: دور المؤسسات والمراكز العلمية:

يرى الإمام الخامنئي عليه السلام أن للمؤسسات والمراكز العلمية دوراً هاماً وفعالاً في تطوّر العلم والمعرفة، ولا سيما العلوم الإنسانية. ويمكن استنتاج عدّة توجيهات طرحها في هذا الصدد، منها:

تشخيص الاحتياجات والأولويات العلمية، ووضع برنامج صحيح، وإحصاء الأهداف والحاجات الأساسية للبلد، والسير في طريق التنمية الهادفة للتعليم العالي على أساسها: حيث يجب علينا أن نشخّص الحاجات والأولويات العلمية، وندمجها في تخطيطنا التعليمي، سواء أكان في العلوم الإنسانية، أم العلوم الأساسية، أم في الأقسام المختلفة من العلوم الاختبارية، أم في الأبحاث على اختلاف مستوياتها؛ فهناك أولويات يمكن أن تبرز من خلال البحث والتدقيق، ويجب أخذها بعين الاعتبار، وإدغامها في التخطيط. فلدينا إمكانيات محدودة وحاجات كثيرة، ويجب أن لا نسمح لأنفسنا باستثمار الفكر، والمال، والوقت، والبشر في أعمال ليس لها أولوية^(٢).

والنقطة التالية التي ينبغي الإشارة إليها هي: أنّ حركة تطوير التعليم العالي يجب أن تكون هادفة. فعلى مسؤولي التعليم العالي أن يحذروا جداً

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع الهيئة العلمية في مؤسسة الجهاد الجامعي وخبرائها، بتاريخ: ١٣٨٢/٤/١ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع جمع من المتفوقين والنخب العلمية وأساتذة الجامعات، بتاريخ: ١٣٨٧/٧/٣ هـ.ش.

من التطوير غير الهادف؛ فيجب إحصاء حاجات البلد الأساسية في مجال العلوم والتكنولوجيا، وكذلك في العلوم الإنسانية؛ لتوضع بعد ذلك خطة على أساسها...^(١).

وكذلك يجب أن يكون قبول الطلاب الجامعيين على أساس مستوى قدرتنا على إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية...^(٢).

«بناءً عليه، فالجمع الغضير من طلاب الجامعة في البلد، الذي يبلغ عدده ثلاثة ملايين ونصف...؛ يوجد بينه مليون طالباً جامعياً يدرسون العلوم الإنسانية! هذا يبعث القلق في نفس الإنسان من ناحية معينة. كم لدينا عمل أصيل أو أبحاث إسلامية في العلوم الإنسانية؟ كم لدينا كتب جاهزة في العلوم الإنسانية؟ وكم لدينا أساتذة مميّزون مؤمنون بالرؤية الكونية الإسلامية، يريدون تدريس علم الاجتماع، أو علم النفس، أو الإدارة أو غيرها، بحيث نقبل هذا العدد من الطلاب في هذه الاختصاصات؟ هذا مثير للقلق»^(٣).

ولهذا يؤكّد الإمام الخامنئي عليه السلام على أهميّة تفعيل المناظرات العلمية والمنهجية في البلد... وإطلاق «مرحلة الإبداع والإنتاج» في العلوم والفنون والصناعات، وخاصّة في اختصاصات العلوم الإنسانية، كما المعارف الإسلامية، لكي تتمهّد الطريق أمام هذا العمل العظيم تدريجياً، فتحلّ جامعاتنا مرّة أخرى الصفّ الأوّل في صناعة الحضارة الإسلامية، وتطوير العلوم، وإنتاج التكنولوجيا والثقافة^(٤).

١- توفير الظروف المناسبة للنخب: يؤكّد الإمام الخامنئي عليه السلام على لزوم التعرفّ إلى النخب واستقطابهم واحترام مكانتهم، حيث يوجد لدينا مواهب جيّدة، فينبغي العمل على استطلاع المواهب

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ١٣٨٩/٦/١٤ هـ.ش.
(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع أعضاء شورى الثورة الثقافية، بتاريخ: ١٣٨٤/١٠/١٤ هـ.ش.
(٣) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقاءه مع أساتذة الجامعة، بتاريخ: ١٣٨٨/٦/٨ هـ.ش.
(٤) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام أجاب به على رسالة من جمع من محضلي الحوزة العلمية وباحثيها، بتاريخ: ١٣٨١/١١/١٦ هـ.ش.

واستقطابها في الوقت المناسب، وإرشادها، وتوظيفها، وإعدادها إعداداً معنوياً صحيحاً. وهي أمور يمكن العمل عليها^(١).

٢- تأسيس مركز ISI إسلامي: يرى الإمام الخامنئي عليه السلام أننا قد «نتعرض أحياناً لمشاكل في مجال الأبحاث، وإدراج المقالات العلمية في مجلات ISI، خاصة بالنسبة للعلوم الإنسانية، حيث إن بعض مجلات ISI تمتنع عن نشر مقالات باحثينا، لماذا؟ لأنها لا تتوافق مع مبانيهم... فتعالوا نفكر في إنشاء مركز ISI إسلامي، وتباحث مع الدول الإسلامية حول هذه النقطة. ونحن بحمد الله متطورون بالنسبة إلى الدول الإسلامية... طبعاً تأسيس المركز الإسلامي هذا لا يعني قطع العلاقة مع مجلات ISI في العالم؛ فنحن لا نريد تأسيس هذا المركز من أجل أنفسنا فقط، فليكن هذا المركز مرجعاً معتبراً كذلك. وكلما قمتم بهذا النوع من الأعمال أكثر، سوف يساهم هذا في تطور البلد أكثر إن شاء الله»^(٢).

خاتمة: ترتيب الأفكار:

من خلال تقديم الإمام الخامنئي عليه السلام خارطة طريق الوصول إلى حضارة إسلامية كبرى، وإلى بناء مجتمع إيران الإسلامية، والتأكيد الشديد على أهمية العلم والمعرفة، تمكّن بذلك من طرح بساط بحث أهمّ موضوع نهضوي علمي.

إنّ طرح قضية إنتاج العلم والنهضة البرمجية هذا، المستند إلى تطوير العلم، وإنتاج الثقافة والتكنولوجيا التي يحتاجها بناء حضارة إسلامية، هو أهمّ عامل محرّك وبنّاء للثقافة في هذا المجال.

ويستنتج من هذا الطرح ضمناً، أنّ تطوّر المجتمع الإسلامي مرهونان

(١) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع أساتذة الجامعات، بتاريخ: ١٢٨٢/٩/٢٦ هـ.ش.

(٢) من كلام للإمام الخامنئي عليه السلام ألقاه في لقائه مع وزير العلوم ورؤساء الجامعات، بتاريخ: ١٢٨٢/١٠/١٧ هـ.ش.

بنشر ثقافة العلم والإيمان، فالعلم أساس القوة، وهو ملك البشرية جمعاء، والاحتكار السياسي الذي يمارسه نظام الغرب السلطوي أمر مرفوض. كما أنّ العلوم الإنسانية هي - من بين سائر العلوم - محرّك الثقافة والمجتمع، لأنها مرتبطة بفكر الإنسان، فالعلوم الإنسانية، إذن، بمثابة روح المعرفة، وهي الإطار الأهم للعلوم البشرية، ولها دور في الأحداث الحاصلة في العالم، وفي إدارة البلاد، وإعداد مديري المجتمع.

وبما أنّ هذه العلوم لها هويّتها الثقافية والتاريخية المستندة إلى حاجات المجتمع الأساسية، وتقع تحت تأثير الرؤى الكونية والقيم الحاكمة في المجتمعات التي نشأت فيها، وبما أنّ هذه العلوم دائماً في حالة تجدد وتكامل، كانت النظرة التقليدية البحتة أبرز آفة يمكن أن تصيب المجتمعات المختلفة عن المهد الغربي المنتج للعلوم الإنسانية، من الناحية الثقافية، والقيمية، والجيو - سياسية.

لذلك، تعدّ نهضة إنتاج العلم في العلوم الإنسانية، والحركة البرمجيّة في الثقافة، والتفكير الحرّ في أسس المعرفة، بمثابة الركائز الأساسية للاستقلال الثقافي والسياسي، وأهمّ مقدّمة للتوصّل إلى أنموذج التطوّر الإسلامي، بصفته نقطة انطلاق للانتقال إلى مجتمعٍ محوره العدالة والتطوّر.

وعليه، يجب إنتاج العلوم الإنسانية الإسلامية بمعناها الحقيقي مع مراعاة النقاط التالية:

- الاعتماد على الإرث الديني والعلمي المنبثق عن الإسلام والمسلمين (منهجية الاجتهاد، الفقه، الفلسفة، ومعارف القرآن الكريم والتفسير).
- الفهم العميق، ونقد النتاجات [الفكرية] البشرية الجديدة.
- إنتاج العلوم وفق منهج علمي صحيح.
- عدم الانبهار والتصاغر أمام النتاج العلمي الغربي.

ومن هذا المنطلق، تحتاج هذه النهضة التاريخية العظيمة والنوعية، مضافاً إلى الثقة بالنفس، والهمة العالية، وقيام العلماء والمفكرين الحوزويين والجامعيين بأدوارهم العلمية والفكرية، إلى تجنب هدر الإمكانيات والطاقات البشرية، عبر تحديد حاجات المجتمع، وإجراء الإحصاءات العلمية الأوليّة، والتخطيط الصحيح المستند إلى القدرات والإمكانيات المحدودة. كما ينبغي خلق جوٍّ للتفكير الحرّ، وتقديم الدعم المعنوي والمادّي للنخب والمنتجين وتنظيمهم، لكي تتوافر بيئة تفتح الاستعدادات وإثمارها، بصفتها مقدّمة لمستقبل مضيء يحمل بشائر الخير.

هذا، ويمكن فسخ المجال أمام طباعة النتائج والنظريات العلمية الإسلامية لعلماء العالم الإسلامي والعمل على نشرها، من خلال إنشاء مركز [لذلك] بالتعاون مع الدول الإسلامية.